

المناس الوطنية (*)

في الديار المصرية

سعادة الأمم بأعمالها، وكال أعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف فيها، فكل أمة ترغب عن العلم فيما لها إلى الشقاء شقاء الاستعباد وفقد الاستقلال، لا يعصمها منه اتساع مساحة بلادها، ولا كثرة أفرادها، ولا منظمة حكامها، ولا صحة دينها، ولا شرف أسلافها، ولا شيء مما يتعلق به المسترسلون مع الأوهام المتقادون بأزمة الفرور، وكل أمة نشطت لاقياس العلوم والاستضاءة بنور الأعمال النافعة، فأقامت أساس مدينتها على هدى، فبشرها بالسعادة سعادة المدنية الفاضلة، والحرية الشاملة، والسيادة الكاملة، لا يمنعها من هاتان قلة أفرادها، ولا احتلال الأجانب لبلادها، ولا استئصال حكامها، ولا اختلال نظامها، ولا فساد عقائدها، ولا تبجح عوائدها، إذ العلم يصلح كل نخل، ويشفي من جميع العال، يشهد بجميع مآلاته الميان، وينطق بصحته البرهان،

سل التاريخ عن أحوال الأمم والشعوب التي سقطت في مهاوي العدم وماذا كان من السبب في سقوطها، وعن الأمم الراقفة على شفا الخطر وماعة بأسها وقنوطها، سل عن الدول التي طاولت السماء في رفعتها، وفاخرت الجبال في قوتها ومنعتها، وهزأت بعقاب الجو في عزتها وعصمتها، أصرح لك في القول: سل ما الذي أحل بالممالك التيمورية (الهندية) الدمار، وأوقف دولة الصين

العظيمة على شفا جرف هار ، تنقص من أطرافها ، وتتناوش من جميع أكتافها ، ما الذي انتاش الولايات المتحدة الاميركية ، وانقذها من مخاب السلطة الانكليزية ، ما الذي نهض بالامة اليابانية ، حتى طارت مع الامم الاوربية في كل جوه ، وسبغت معها في كل بحر ، وضربت من الفنون بكل سهم ؟؟ اصح بسمك للتاريخ واستمع لما يتلوه عليك تجمد ان جوابه عن هذا كله محصور في كلمتين وهما «علم وعمل ، وجهل وكسل ،» فبالعلم والعمل يقرن كل تقدم ورفي ، وعن الجهل والكسل ينشأ كل تأخر وهوي ، فكل غاية مبداء ، ولكل رغبة طريق يوصل اليها ، وكل من سار على الدرب وصل « وان تجمد لسنة الله تبديلاً »

كل هذا من البديهيات الثابتة بالمشاهدة والاختبار فلا ينازع فيها الا الصم البكم العمي الذين لا يعقلون ، فانصرف النظر عنه الى تسميم التعليم المفيد ، والتربية على العمل النافع ، ولنجعل موضوع كلامنا في ذلك البلاد المصرية وليس تخصيص القول بهذه البلاد مخرجاً له عن خدمة عامة الشرقيين فان احوال الامم والشعوب يشبه بعضها بعضاً في الامور الكلبة ونشابه البلاد الشرقية في اكثر شؤونها الجزئية لاسيما في موقفا المخرج امام اوربا فليعتبر بما نذكره في شأن مصر كل شرقي عاقل

تذاكر المصري من أي طبقة في سعادة بلاده فيجيبك ان ذلك لا يكون الا بجلاء الانكاز عنها . نعم ان منهم من يقول ان الاحتلال اذهب سابق الاختلال فكان شفاء وشقاء في وقت واحد لكنهم مع ذلك يعقلون

حكمة شاعرهم القائل

إذا استشفيت من داء بداء فاقتل ما أعلك ماشفا كما
والصواب ان السعادة أمر وجودي لا يحصل بمجرد الجلاء الذي
هو أمر بمعنى المدي لكنه شرط لكيالها، مثل الاحتلال الاجنبي في
الامم كمثل جرائم الاعراض الوافدة، وميكروبات الادواء الطارئة، لا
يفتك كل منهما الا بالضعيف المختل نظام المعيشة وعلاجها يشبه بعضه
بعضا، تعالج الامم الادواء الحسية الوافدة بعلاجين كل منهما مفيد في
نفسه ويحصل الكمال باجماعهما كليهما. أحد العلاجين خارجي تكاه الامة
الى حاكمها كالحاجر الصحية وثانيها داخلي يتيسر على الاهلين القيام به
بدون مساعدة الحكام، ويتعذر على الحاكمين القيام به على كاله بدون مساهمة
الحكومين، وهو نظام أمر المعيشة بالنظافة العامة المصلحة لفساد الهواء
والغذاء اللطيف والماء النقي المصنق المقوي ذلك كله لمزاج البدن بحيث
يقدر على مدافعة كل عارض ومقاواة كل طارئ، كذلك ينبغي أن تعالج
الاحتلال الاجنبي، الذي هو مرض معنوي، الحكومة تصده عن الايفال
في شؤون الامة والولوج في احشائها، والامة تجتهد في تقوية بنيتها بتعميم
التعليم الصحيح والتربية الوطنية الحقة، حتى يمررها العلم والتهديب فلا تفتك
فيها ميكروبات الاستعباد، ولا تتأصل فيها جرائم الاستبداد، وأعني بالحرية
أن لا تخضع ارادة الامة الا لشريعة بلادها التي تنفذها فيها حكامها لا
السفه والنفجور الذي هو في مصر أكثر من الكثير
فعل المصريين ان يكوا مصادمة هجمات الاحتلال على مصالحهم
ومنافهم لسلطانهم الاعظم وأميرهم الانتم فيها (أيدها الله تعالى) يذودان
عنهم ما أمكن الذود كما وقع قريبا في مسألة بيع طرق حديد السودان

ويعملوا على اصلاح الخلل الداخلي بتأليف الشركات المالية وفتح الجمعيات الوطنية للذان لامة ولا وطن بدونها ، اللذان يمكن بها مقاواة ما نقلت الى البلاد من جرائم مرض الاحتلال (كبيع الدائرة السنوية) بحيث لا ينهك جسم الامة فيتعذر علاجها ، وتقوية مزاجها ، اللذان يتسنى بها تفنح روح القوة والعزة في الامة بتعميم التربية والتعليم ، الذي يحض عليه الناصح ، ولا يعارض فيه الطامع ، ويثني عليه لسان الحال ، ولا يثني عنه عمل الحال ، (اسم من الخلول بمعنى الاحتلال) بهذا تتكون سعادة الامة واذا حلت السعادة زال كل شقاء ، وتشمع سحاب كل بلاد ، لكن المصريين قد تركزهم الاحتلال في أمر مريب فبعضهم يقول ان السعادة تحصل بمجرد الجلاء ، وبعضهم مرتكس بين أمواج الخيرة ، وبعضهم في بأس وتقنوط من استقلال بلاده ونجاحها ، وبعضهم هداه النظر في أحوال العالم الانساني الى ان تعميم التربية والتعليم هما مناط السعادة ، لكن أكثرهم غافل عن قوة الامة والشعب على مثل هذا العمل العظيم ومعتقد انه لا يمكن ان يأتي الا من جانب الحكومة وهو يرى ان تعليم الحكومة ناقص كما وكيفا فلا ترجى به الحياة الوطنية . أما نقصه كما قلناه ان مدارس الحكومة قليلة لا تفي بحاجة البلاد ولا يرجى ان تفي بها مع المسر المالي الذي يلجئها الى بيع املاكها شيئا فشيئا . وأما نقصه كيفا فهو انه ليس مبنيا على المحافظة على الدين وآدابه ولا مصطبغا بالصيغة الجنسية والوطنية . وبغير ذلك لا يمكن ان تنهض البلاد وتحيا الامم والشعوب . ألم تر ان الامم الاوربية تعهد بالمدارس الى القسوس ورجال الدين فالبأ في داخلية البلاد وأما في المستعمرات ونحوها من البلاد الخرجية التي ينشرون فيها مدنيتهم فانهم يتخذون الدين فيها عاملا من

حوامل السياسة ولذلك ينيطون التعليم فيها بالجميات الدينية دون سواها .
ومدارس الحكومة المصرية لا أثر فيها للصبغة الدينية ، بل قيل ان الوليد
يدخلها بدين ويخرج منها مارقا والماذب الله تعالى ، الا اذا كان له أهل وعشيرة
اتقياء بصراء يتعاهدون سيره ويحكمون ربط عقيدته ، ولا أثر فيها للصبغة
الوطنية ولا الجنسية أيضا فقد استبدلت اللغة الاجنبية باللغة العربية في
التعليم ، وأقيم التاريخ الانكليزي بمقام التاريخ العثماني والمصري ، واستغني عن
الآداب العربية بالآداب الافرنجية ، ويمتاض عن المعلمين الوطنيين بالاجانب
شيئا فشيئا . وكل ذلك مما يفرس في قلوب المتعلمين عظمة الامم التي يتعلمون
تاريخها وآدابها واحتقار أمتهم وجنسهم ودولتهم ماضيها وحاضرها . فأى
خير يرجى من تعلمهم بهذه الصفة ، واصطباغهم بهاته الصبغة ؟ اما انه ليتوقع
شرها ولا يرجى خيرها . وكيف ترجى الحياة الوطنية من العامل على اماتهاء
ويؤمل ثبوت الجنسية الاصلية من الساعي بازالتها ؟ ان هذا الاغرور

قياموقدا ناراً لغيرك ضوءها وياحاطبا في غير حبلك تحطب

وخلاصة القول ان التعليم النافع للوطن والبلاد هو ما يحيا به الشعائر
الدينية تهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال ، وتقوى به الرابطة الجنسية
والوطنية باحياء اللغة العربية ونقل جميع الفنون اليها بالتدرج ، وجعل التعليم
بها دون سواها ، وبتمكين رابطة الامة المصرية بالجامعة العثمانية ، وما دام
رؤمنا التعليم بأيدي الاجانب يجذبونه كيف أرادوا فلا يمكن أن نحصل
الا على خلاف هذه الرغائب وهو استبدال حرية الفساد والفحش بآداب
الدين ، واللغة الانكليزية أو الفرنسية باللغة العربية ، وتمزيق الوطنية
والجنسية شذرا مذرا ، وبعد ذلك اما أن يتجنس المتعلمون بجنسية معلمهم

ومربيهم، واما أنت يگونهوا عوناً لهم على مصالحهم، وفي كل ذلك امانة للجنس وتضييع للوطن الذي يراد احيائه واعزازه بالترية والتعليم المصريون صنفان مسلمون وأقباط وقد نهض الاقباط من سنين فأنفوا الجميات، وعتدوا الشركات، فأنشأوا المدارس الكثيرة لتعليم الابناء والبنات متبعين في ذلك سنن الامم المتمدنة، محافظين على شعائرهم الدينية، وحقوق جنسهم ووطنهم، مما يخدمهم عليه التاريخ ويحفظ لهم فيه مجداً مخلداً، أو شك أن يعم التعليم أفراد هذا الصنف النشط فقد قدر بعض البصراء انه لا تمضي خمس عشرة سنة وفيهم ذكر أو أنثى يجمل القراءة والكتابة، كل هذا ولم يكن للمسلمين غير جمعية خيرية واحدة لم تقدر على انشاء أكثر من أربع مدارس حتى الآن

فما الذي منع المسلمين عن مجاراة جيرانهم ومواطنيهم مع امتزاجهم معهم امتزاج الماء بالراح؟ هل صدف بهم عن ذلك دينهم القائم على قاعدة حديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم »؟ ما أجهل صاحب هذا الوم بدين الاسلام وما أبعد عنه، هل صدم عن ذلك قلة الطول، (الغني والمطاء) وفقد القوة والحول؟ كيف وهم أكثر عدداً، وافر مدداً، وابطس يدداً، ولو بذلوا معشار ما ينفقون في احتفالات الافراح والاحزان وضروب الترف والرفه على المعارف لكانت كافياً في تعميمها، هل حجبتهم عن ذلك الجهل بما ينجم عنه من الفوائد وما يترتب على فقده من الفوائد؟ أنى وفيهم من العقلاء المنبهين، والفضلاء المرغبين، عدد ليس بقليل ولا يحتاج فيما نحن فيه الى ان تكون الامة كلها عالمة لانه خلاف

المفروض. اذا ما هو السبب الصحيح والعلّة الحقيقية لهذا الامر العظيم ،
والخطب الجسيم ؟

يظهر لنا ان ذلك ناشىء عن علل كثيرة لا محل اشرحها وكلها
ترجع الى انقطاع الروابط والصلات التي تربط بها الجامعة العامة وتبرؤ
الامة من حولها وقوتها في جميع شؤونها ومصالحها الكلية الى حول الهيئة
الحاكمة وعموتها ، ألم يأن لسحب الاوهام المتساقطة ان تشع ، ولشمس
الحقيقة المحتجبة ان تبرز وتسطع ، اما حان للنفوس ان ترجع الى وشادها ،
وللمم المعقولة ان تحل من وثاقها ؟ بلى ان لدينا ما يشرنا بان المصريين
قد أحسوا بالقوة الالهية المودعة في مجموع الشعب والامة وانما اعلى من
كل القوى والقدر الكونية . وطفقوا يستعملونها كما استعملها غيرهم . نهتهم
وخزات الحوادث الكونية فتنهوا ، وأزججتهم الاخطار المحدثه بهم الى
العمل فصلوا ،

قرأنا في المؤيد الاغر الصادر في غرة صفر الخير رسالة من مكاتبه
في أسيوط نحوها ان سمادة الفاضل أحمد بك فائق مدير جرجا قد أهاب
بنفوس أهل مديريته فبيت سراخاً ، واستنفرها فنفرت خفافاً وثقالاً ،
بين لهم فوائد التعليم ومزاياه ودعاهم الى تأليف جمعية لهذا العمل الشريف
فلبوا طائعين . قال المكاتب «وبدا أعيان بندر جرجا في أول هذا العام
بافتتاح مدرسة في بندرهم ثم تلام أعيان طهطا الذين شرعوا منذ ١٠ الجاري
في بناء محل لسكنى المدرسة (التي فتحت في أول مايو) وفي الاسبوع
الماضي دعا حضرة الوجيه عبد الحميد أفندي عبد الرحمن رئيس الجمعية التي
تأسست في طها عدداً عظيماً من فضلاء ووجوه البلاد الى حضور الاحتفال

بافتتاح مدرسة النجاح بطما التي تأسست بناية سعادة مدير جرجا
ومساعدة حضرة الفاضل يوسف أفندي شوقي ماءور المركز فأجاب الجميع
الدعوة « ثم ذكر في أمر الاحتفال ما ذكره ونحن نرفع في «المنار» رايات
الثناء لسعادة هذا المدير الكامل ، ومن ساعده على عمله من الافاضل ،
هؤلاء هم الوطنيون الخالص ، هؤلاء هم المجددون لمجد أممتهم وملتهم ، هؤلاء
أفضل العاملين ، وأتقى من الغزاة والمحاربين ، لا جرم ان العلم أفضل من
الحرب والجهاد ، فافتتاح المدارس أفضل من افتتاح البلاد ، فرجو ان
يسري هذا الروح الشريف في سائر البلاد المصرية ، بل وفي جميع البلاد
الشرقية ، وبالختام نرجو من سمو العزيز مولانا عباس باشا حلي ان يكافئ
سعادة مدير جرجا وحضرة مأمور طما ومن سعى سعيها أحسن المكافأة
العلم الذي هو أجل رغائب سموه في اسعاد بلاده وتنشيطاً لسائر
ريته على مثل هذا العمل وجرياً على سنة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين
السلطان الاعظم الذي يقتني سموه أثره أدام الله سلطاننا وهزينا ملجأ
للسارف ومصدراً للعوارف بمنه وكرمه اللهم آمين .

حاجة البشر الى الرسالة

(تابع ما قبله)

يجب الكلب سيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستيت لما يرى
انه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة
في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقع قدما يفقده فيحرص عليه